ردود الفعل الدولية تجاه الحملة الفرنسية

موقف تونس:

كان الموقف الحكومي التونسي وليس الشعبي مغايرا للآخر، إذ أيد حكامها العدوان الفرنسي بخلاف الشعب، وقد اتخذت الحكومة التونسية موقفا غير مشرف تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، ففي الوقت الذي كان ينتظر أن تقف الى جانب الجزائر في صد العدوات الفرنسي تواطأت معها في غزو الجزائر، وقدمت لها التسهيلات اللازمة، إذ مولت الحملة بالماشية ومنعوا تهريب البارود من طبرقة الى قسنطينة، كما أن باي تونس أيد فكرة الاحتلال وهنأ قائد الحملة بالانتصار.

والسبب في موقف تونس السلبي نجده مرتبط بالعلاقات المتوترة السائدة بين البلدين قبل الحملة، حيث قامت بينهما جروب طويلة لم تتوقف إلا بعد أن توسطت الدولة العثمانية عام 1821، حيث قال الزهار عن هذه الوساطة ما يلي: " ولما وصلت الفرمانات والرسل لأميري البلدين عندئذ تم الصلح وفرح جميع المسلمين واستبشروا بانطفاء هذه الفتنة".

وبالرغم من نجاح الباب العالي في تحقيق الصلح بين البلدين إلا أن الحكومة الفرنسية قامت بمنع "طاهر باشا" المبعوث العثماني من النزول على ترابها عام 1829.

لما شرعت فرنسا في تنفيذ حملتها على الجزائر أظهرت تونس استعدادها لفتح أراضيها أمام الجيش الفرنسي لمهاجمة الجزائر من الناحية الشرقية، وبعد إتمام عملية الاحتلال سارع باي تونس بإرسال وفد الى القيادة الفرنسية ليقدم تهانيه بهذا النصر الذي حققه الجيش الفرنسي.

ولم يقتصر موقف الحكومة عند هذا الحد من الاحتلال الفرنسي للجزائر بل ذهبت الى أبعد من ذلك حيث منحت مساعداتها لأعوان المخابرات الفرنسية الذين أوفدتهم حكومة باريس الى الجزائر.

لقد كانت تحركات قنصل فرنسا بتونس قوية ومنسقة مع أجهزة الحملة وكان الجواسيس والمفاوضون قد تسربوا نحو قسنطينة وعنابة محاولين إيجاد الثغرات وعزل سلطات الإقليم عن السكان، والمعروف أن الفرنسيين كانت لديهم مصالح تجارية وحتى عسكرية جهة عنابة والقالة. كذلك من المساعدات ما نصت عليه معاهدة 18 ديسمبر 1830م التي جاء فيها انه أتى من أجل ملأ الفراغ الذي تركه باي وهران، عمد "كلوزيل"[1] (Clauzel) الى الاتفاق مع باي تونس في 04 فبراير 1831م، على وضع وهران تحت الحماية التونسية مقابل ضريبة سنوية تدفعها الى سلطات الاحتلال.

قاوم سكان وعران القوة التونسية لكن سرعان ما تغير موقفهم بسبب أعمال السلب والنهب وأعمال وحشية في مدينة مستغانم. وفي شهر أكتوبر 1830م أرسل باي تونس بعثة الى الجزائر يرأسها ضابط القصر "محمد شولاق" ورفيقه "حسين مورالي" استقبلهما الجنرال كلوزيل وأجريت مباحثات سياسية بين الطرفين استطاع من خلالها الحاكم العام الفرنسي ان يورط باي تونس، وبيع إقليم قسنطينة الى تونس بمليون فرنك سنويا يوم 18 ديسمبر 1830، يتولاها شقيقه مصطفى، كما بيع إقليم وهران بمليون فرنك آخر في 06 فيفري 1831.

غير أن الحكومة الفرنسية رفضت هاتين الاتفاقيتين واضطر باي تونس الى سحب جنوده من وهران في 22 أوت 1831م، والتخلي عن أحلامه التوسعية الحمقاء في الجزائر. وانهيت مهام "كلوزيل" في الجزائر يوم 20 فيفري 1831م.

---

[1] **كلوزال**: المارشال برتران كلوزيل(Bertrand Clauzel) أو الكونت كلوزيل (Comte Clausel) . (12 سبتمبر 1772 . 21 أبريل 1842) هو ضابط فرنسي، شارك في الثورة الفرنسية ضد ملكية يوليو وفي حرب الاستقلال الإسبانية وفي احتلال الجزائر، التي صار حاكمًا عامًا لها فيما بعد، خلفًا للجنرال دي بورمون. ألحقه نابليون الأول بالنبلاء، ورفعه لويس فيليب الأول إلى رتبة مارشال فرنسا (فبراير 1831).

ولم يتورع حكام تونس عن مواصلة تأييد الغزاة وعدائهم السافر للمقاومة كما حاولوا زعزعة مركز أحمد باي بحجز مدافع أرسلتها الدولة العثمانية إليه في ربيع 1837م.

موقف المغرب الأقصى:

اتخذ هو الآخر موقفا سلبيا من الاحتلال، حيث التزم سلطانه "مولاي عبد الرحمان[2]" الصمت على نقيض شعبه الذي كان مع الجزائر، هذا الصمت راجع لتجنبه التدخل العسكري من جهة أولى مع فرنسا، ولفتور العلاقات بينه ونين حكام الجزائر من جهة أخرى، ولما استنجد الداي حسين بالسلطان المغربي مولاي عبد الرحمان لمساعدته لطرد الفرنسيين التزم هذا الأخير الحياد وبقي ينتظر ما تسفر عنه الحملة، وقبل أن تُقدم فرنسا على احتلال الجزائر طلبت من قنصلها في طنجة "دولابورت" أن يخبر السلطان المغربي بمشاريعه في الجزائر، واتصل القنصل بالسلطات المغربية وعرض عليها الأهداف التي تنتظرها بلاده من الحملة، وانتهز المناسبة ليطلب من المغاربة مساعدة الأسطول الفرنسي والمواطنين الفرنسيين الذين يلجؤون الى المغرب، فكانت إجابة السلطان إيجابية على عدم تدخل بلاده في القضية الجزائرية، كما طلب السلطان المغربي من غدارة الجمارك المغربية أن تسمح بتموين الأسطول الفرنسي شرط أن يلتزم بتسديد الرسوم الجمركية.

ويبرر السلطان المغربي مساعدته للحكومة الفرنسية قائلا: "أنه وضع مخطط لتدمير حكومة الداي لكن الحكومة الفرنسية سبقته لذلك". لذلك فإن الموقف المغربي قد تغير لما احكمت فرنسا قبضتها على الجزائر، وشرعت في مد نفوذها الى الإقليم الغربي والدليل على ذلك أنه عندما عرض عليه أعيان تلمسان أن يبايعوه ويدخلوا في حكمه مرتين في أوت ثم في سبتمبر 1830م على التوالي، استجاب السلطان مولاي عبد الرحمان لندائهم وأرسل أحد أقاربه "المولى علي" ليكون خليفة عنه في تلمسان 1831م تحت وساطة عامل وجدة، فأخذ من تلمسان عاصمة له وأخذ يبسط نفوذه، لكن هذا الوالي فصل في مهمته لاصطدامه بالكراغلة وقسم من قبائل الدوائر والزمالة الموالية للاستعمار الفرنسي، فأمره السلطان بالعودة الى المغرب في 08 مارس 1831.

في 03 أوت 1831م عين السلطان عبد الرحمان "محمد بن الحميري" خليفة له على تلمسان، فدخلها يوم 16 مارس من نفس السنة وحاول عبثا ضم وهران في أكتوبر، ثم استقر بمعسكر واخذ يركز النفوذ المغربي ويخبأ الأموال ويعين العمال في أنحاءها وكذا الجهات الشرقية فبلغ نفوذه مليانة والمدية، لكن عندما تأكدت فرنسا من نوايا المغرب التوسعية طلبت من السلطان سحب قواته من الأراضي الجزائرية في مدة 24 ساعة وهددته بمحاصرة المدن المغربية في حالة عدم امتثاله للأوامر الفرنسية لذلك اضطر السلطان المغربي الى سحب خليقته من تلمسان وانتهى بذلك رحيل التدخل المغربي في الإقليم الغربي الجزائري.

موقف ليبيا:

كانت ليبيا هي الدولة الوحيدة التي لم التسهيلات أو المساعدات للفرنسين في غزوهم للجزائر، وما يؤكد ذلك الرسالة التي بعثها حاكم طرابلس "يوسف بن علي باشا الفرماني" الى الداي حسين في 07 ماي 1830م وقد أرجع المؤرخون سبب ذلك عذم قدرة طرابلس في تقديم المساعدات للجزائر للصعوبات التي اعترضت حكم "يوسف بن علي الفرماني" والمتمثلة في قيام ثورات بمختلف الأقاليم الليبية (1806 – 1830م) نتيجة سياسة الضرائب التي اثقلت كاهل السكان وإلى تهديدات

---

[2] **مولاي عبد الرحمن**: بن هشام (ولد في فاس سنة 1204 هـ/1789 – توفي في مكناس سنة 1859) السلطان المغربي الرابع عشر من سلالة العلويين حكم المغرب في الفترة ما بين 1822 – إلى 1859م، انتقل إليه العرش في إطار صفقة أقرها عمه المولى سليمان مع والده هشام بن محمد من أجل وأد نار الفتنة التي قامت بين أبناء سيدي محمد بن عبد الله.

الأساطيل الأوروبية التي تمكنت من اطلاق أسر القرصنة عام 1819م، ثم ما أعقب ذلك من خلاف حاد بين مملكتي سردسنيا ونابلي (1826– 1825).

وبالرغم من ذلك فإن الليبيين كانوا يتتبعون أخبار الجزائر على الكتب حيث ذكر قنصل بريطانيا بليبيا السيد"ويلينغتون "(*Wellington*) أن وصول خبر الاحتلال الفرنسي لمدينة طرابلس يوم 26 جويلية 1830م قد أحدث قلقا وهيجا بين سكانها المسلمين. وقد ترتب عن موقف ليبيا المعادي لاحتلال الجزائر أن فرضت على حكومة طرابلس معاهدة مجحفة في 11 أوت 1830، بعد أن أرسلت إليها أسطولها لإرغام حاكمها على الاعتذار وتقديم الترضيات.

مواقف الدول الأوروبية:

واجهت فرنسا معارضة ضئيلة في المحيط الدولي، وساعدها على ذلك شهرة الجزائر بالقرصنة في المجتمع الأوروبي وقد استغل "بولياك" هذه الظروف وراح يصور التدخل الفرنسي على أنه لصالح الحضارة عامة والحضارة المسيحية بصفة خاصة، والدليل على ذلك رسالة 10مارس التي أبلغ "بولينالك" بواسطتها الدول الكبرى بقرار الحملة، وتمكن من خلال ذلك من كسب تأييد معظم الدول الأوروبية للعدوان، ولم تعارضه سوى بريطانيا وتحفظت عنه إسبانيا. ومن بين الدول التي اتخذت مواقف مؤيدة للحملة الفرنسية على الجزائر نجد:

أ–روسيا:

لم تكن ترى في الاحتلال مانعا لأن اهتمامها كان منصبا على منطقة البلقان، وصرحت روسيا بأنها تنظر بعين الرضا إلى احتفاظ فرنسا بمركز قوي في الجزائر لصيانة امن الملاحة في البحر المتوسط لأنها ترى في ذلك تقليل لاهتمام فرنسا بالشرق والبلقان محط أنظار روسيا، كما كانت تأمل أن تحظى بدعم فرنسا لأطماعها في الدولة العثمانية وتهديد المصالح البريطانية في البحر المتوسط.

كما أثارت ثورة جويلية في باريس مخاوف الحكومة الروسية مما جعلها تطلب من الباب العالي الذي كان كثير الانصياع لها، أن يلتزم الصمت حتى تتضح الأمور خوفا من ان يؤثر ذلك على الحكومة الفرنسية فيتغير موقفها من الاحتلال.

ب– موقف النمسا:

كان موقفها حياديا لا مباليا، لا سيما وهي تعاني من ظروف داخلية غير مستقرة، كما كان عليها مجاراة حليفاتها روسيا وبروسيا في تأييد الخطوة الفرنسية، وقد أعطت اهتماما كبيرا للحملة الفرنسية على الجزائر، حيث كانت تراقب نشاطات الحكومة الفرنسية حول القضية الجزائرية؛ ولم تكتف بذلك فقط بل دعمتها بأحد ضباطها وهو "فريديريك سلوارتز أمبورغ" الذي شارك في أحد معاركها.

كما أن رئيس وزراء النمسا "مترنيخ" (Metternich)بالرغم من ميله إلى موقف بريطانيا وإلى استقرار الأوضاع في أوروبا، إلا أنه كان يهدف وحكومته إلى تحويل اهتمام فرنسا إلى التوسع خارج أوروبا، لأن من مصلحتها أن تبقى الأوضاع على حالها ولما أطاحت ثورة جويلية بنظام شارل العاشر في فرنسا عام 1830م. تخوفت الحكومة النمساوية من انتشار الثورة إليها وأسرعت إلى عقد معاهدة دفاعية مع روسيا وبروسيا للمحافظة على النظام القائم.

ج– موقف بروسيا (ألمانيا):

لم تبد معارضتها للغزو الفرنسي لأن فيه إبعاد للجيوش الفرنسية عن أوروبا التي تطمح بروسيا إلى تزعمها سياسيا. وكانت تهدف من وراء هذه السياسة إلى تحويل أنظار فرنسا من منطقة الراين إلى مناطق أخرى بعيدة عن أوروبا، كما عرضت خدمات ضباطها على فرنسا تحت ضغط من حليفتها روسيا.

د– إسبانيا:

بالرغم من أنها شعرت بالغيرة من فرنسا لأنها قد تنجح فيما فشل فيه هي عدة مرات في القرون السابقة، فقد تحفظت عن الغزو الاعتقاد بعض أوساطها السياسية والعسكرية بأحقيتها في احتلال القطاع الوهراني من الجزائر. نظرا لوجودها السابق بوهران والمرسي الكبير لما يقرب من ثلاث قرون، ولارتباطها باتفاقية تجارية مفيدة مع الجزائر وحرصها على الاحتفاظ بعلاقات جيدة مع بريطانيا، لكن ذلك لم يمنعها في سياق مناصرة الرأي العام الأوروبي لعملية الغزو، ومن السماح لها باستخدام جزر البليار كمحطة للأسطول الفرنسي وبتأجير السفن التجارية الإسبانية للحكومة الفرنسية لتعضيد الحملة، مع الملاحظة أن ساسة هذه الدول لم يعولوا كثيرا عما ورد في رسالة "بولينياك" من أن غرض الحملة تأديبي، وليس إحداث تغيرات إقليمية في حوض المتوسط، والدليل على ذلك تعليق "مترنيخ" على النبأ بقوله "لا نُعرّض أكثر من أربعين ألف رجل للموت وننفق أكثر من مليون فرنك من أجل لطمة المروحة.

أما بقية الدول الأوروبية كالسويد وسردينيا ووالدنمارك وهولندا والو.م. الأمريكية، فلم تكن تختلف عن المواقف السابقة الذكر حيث دعمت الحملة ماديا وبشريا، وكذا البابا "بيوس" في روما فقد سمح لفرنسا باستخدام موانئه، وكذا مملكة نابلي وصقلية التي سمح ملكها "فرنسوا الأول" للتجار بتزويد الحملة الفرنسية بالسفن التي يحتاجها.

هـ– موقف بريطانيا:

كانت هي الدولة الوحيدة التي عارضت الاحتلال الفرنسي للجزائر، فهل كان ذلك ودا أم صداقة منها نحو الجزائر؟ أم غيرة من الفرنسيين وحسدا لهم؟ لقد أيدت معظم الدول الأوروبية الحملة الفرنسية على الجزائر ودعمتها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ماعدا بريطانيا، الدولة البحرية الاستعمارية الوحيدة التي خشيت أن يهدد الغزو تفوقها ومصالحها في حوض المتوسط فعارضته واحتجت عليه.

لذلك سعت إلى افشال كل مشروع يهدف إلى احتلال الجزائر، حيث أجهضت في سرية المفاوضات التي جرت بين "دروفتي" القنصل الفرنسي بمصر وإبراهيم باشا حملة محمد علي باشا على الجزائر. وسعت الى التسوية من جهة أخرى مع الباب العالي كي يسرع في إرسال "طاهر باشا" الى الجزائر للتسوية.

وبخصوص المذكرة التي وضعها بولينياك، التي وضح فيها أن فرنسا ستشاور فيما بعد خلفائها لتثبيت النظام الجديد في الجزائر، فإن "أبردين" وزير الخارجية البريطانية لم يطمئن لهذه المسألة مثل بقية الحلفاء، وأصر على أن تقدم فرنسا مبررات وضمانات على القيام بالحملة، حيث قال في رد بتاريخ 16 مارس "*لابد من توضيح هدف فرنسا من الحملة وإلا كان بوسعنا أن نرسل أساطيل إلى الشواطئ المهددة بالغزو لكننا لا نريد الحرب*".

وأمام إصرار بريطانيا على تقديم فرنسا مكتوب وضمانات، اضطر "بولينياك" إلى توزيع منشور أخر على الدول، بتاريخ 12 ماي 1830م، وضح فيه أهداف الحملة على النحو التاتي:

للحملة هدفان أساسيان:

الأول: يتعلق بفرنسا وحدها وهو يشتمل الانتقام للكرامة الوطنية وحماية مصالح المؤسسات حيث كانت لها امتيازات في عنابة وشرق الجزائر، واستخلاص تعويض من الداي على ما ارتكبه من أعمال.

الثاني: يخص أوروبا بأسرها وهو منع الرق والقرصنة والإتاوات التي مازالت تدفعها بعض الدول الأوروبية، فإذا تمخضت الحرب عن سقوط حكومة الداي فإن فرنسا مستعدة من الآن لدعوة حلفائها إلى إقامة مؤتمر يناقش الوضع الجديد، الذي يمكن إقامته في الجزائر لخير المسيحية جمعاء.

هذا يعني أن بريطانيا لم تكن تنوي القيام بأي عمل لإجبار أو إعاقة فرنسا عن الانسحاب، ولم تكن تنوي الدخول معها في حرب، حيث صرح سفيرها في إستانبول السيد "غوردن"(Gordon)، في اللقاء الذي جمعه برئيس الكتاب العثماني السيد "حميد باي" في 29 جانفي، أن بلاده غير مستعدة للدخول في حرب مع فرنسا من أجل تحرير الجزائر، كما اقترح على الدولة العثمانية توجيه رسالة إلى السفير الفرنسي توضح فيها حقوقها في الجزائر؛ بضمان سلامة التجارة الأوروبية، وهذا يعني أن الموقف البريطاني من الاحتلال الفرنسي للجزائر قد اقتصر على النشاط الدبلوماسي كما أن المعارضة البريطانية لم تكن من طرف البرلمان ولا من طرف الشعب بل كانت من الحكومة والهيئة العسكرية على الخصوص.

إن التغيير الذي طرأ على الساحة الأوروبية أدي إلى تغير الوقف البريطاني، حيث أن سقوط نظام شارل العاشر في فرنسا، أدى إلى تخوف الأنظمة الملكية المطلقة من انتقال رياح التغير إليها وأدى بالدول الأوروبية مثل بروسيا وروسيا والنمسا إلى التحالف فيما بينهما، وقامت بعقد اتفاقية لمواجهة خطر الانقلابات التي قد تؤدي إلى القضاء عليها، وأمام هذا التحالف أحست بريطانيا بأنها معزولة، وفضلت الانضمام إلى فرنسا وأعلنت صداقتها لها بعد أن تبين لها أن الدولة العثمانية غير قادرة على حماية مصالحها نتيجة ضعفها.